

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامَ،

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءَ،

إِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُنَا أَنْ نَطْلُبَ الرِّزْقَ وَنَكْتَسِبَ نَفَقَةَ عَائِلَاتِنَا بِطَرِيقٍ حَالِلَةٍ. فَالِاشْتِغَالُ بِالتَّجَارَةِ وَالْعَمَلِ وَظِيْفَتِنَا وَأَمْرٌ مَمْدُوحٌ. فَمِنْ خَصَائِصِ الْمُؤْمِنِ رِعَايَةُ حُدُودِ الشَّرْعِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ حِينَ يَشْتَغِلُ بِالْعَمَلِ وَالتَّجَارَةِ. فَلَا يُتَصَوَّرُ عَكْسُ ذَلِكَ بِأَنْ يَشْتَرِيَ أَوْ يَبِيعَ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ أَنْ يُخِلَّ حُقُوقَ عَمَالِهِ وَمُشْتَرِيهِ.

لَا نَحِدُ أَبَدًا عَنِ الصَّدَقِ وَقِيمِنَا لِلْحُصُولِ عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَالِ. كَذَلِكَ لَا نُهْمِلُ عِبَادَاتِنَا أَبَدًا لِشُغْلِ أَوْ تِجَارَةِ. فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا، إِهْتَمَّ بِالْحَالِلِ وَأَنْ يَكُونَ الرَّبْحُ ذَخِيرَةً لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُبَارَكَ فِي أَمْوَالِهِ إِلَّا إِذَا حَصَلَ عَلَيْهَا بِطَرِيقٍ مُبَاحٍ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

يَا إِخْوَتِي الْكَرَامَ،

إِنَّ غَايَةَ وُجُودِنَا هِيَ السَّعَادَةُ فِي الدَّارَيْنِ. وَإِنَّا إِذَا أَرَدْنَاهَا فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَعِيْشَةٍ تُقَرِّبُنَا إِلَى رِضَا الْبَارِي تَعَالَى. وَتَدْخُلُ فِيهَا حَيَاتُنَا التَّجَارِيَّةُ. فَتَقْرَأُ فِي قِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ (عَلَيْهِ السَّلَام) أَنَّهُ حِينَمَا أَصْرَّ عَلَى تَبْلِيغِ رِسَالَةِ التَّوْحِيدِ وَأَحْكَامِ التَّجَارَةِ إِلَى قَوْمِهِ، اسْتَهْزَؤُوا بِهِ ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلُوتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ط إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾¹ فَتَعَلَّمْ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ أَحْكَامَ التَّجَارَةِ مِثْلُ الصَّلَاةِ فِي كَوْنِهَا مُحْكَمَةٌ حَتَّى لَا تَنْفَكُ عَنْ دِينِنَا. فَإِذَا لَمْ نُرَاعِهَا ابْتَعَدْنَا عَنْ رِضَا رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَ- حَفِظْنَا اللَّهَ - دَخَلْنَا فِي الزُّمْرَةِ الْمَدْمُومَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾² فَعَبَّرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَنْ مِعْيَارِ أَخْلَاقِنَا التَّجَارِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ بِشَكْلِ وَجِيزٍ. فَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَحْتَالَ عَلَى أَحَدٍ فِي بِيوعِنَا كَمَا لَا نُحِبُّ أَنْ يُحْتَالَ عَلَيْنَا.

الْعَمَلُ وَالتَّجَارَةُ وَسَدُّ حَاجَاتِ الْمُجْتَمَعِ أُمُورٌ يَحْتَثُّ عَلَيْهَا دِينُنَا. فَلَا شَكَّ أَنَّ الَّذِي يَشْتَغِلُ وَيَكْتَسِبُ مِنَ الْحَالِلِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَاطِلِ الْكَسَلَانِ يَعِيشُ عَلَى كَسْبِ غَيْرِهِ. وَإِنَّ مَقَامَ التَّاجِرِ الْمُحْسِنِ لَعَالٍ. فَرُوِيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»³ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الصَّدِيقِينَ الْأَمْنَاءِ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ مِنَ الْحَالِلِ حَتَّى يُبَارَكَ فِي أَمْوَالِنَا. وَجَعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ لَا تَلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ. آمِينَ



³ سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، رقم الحديث (٢١٣٩)

¹ سورة المطففين: ١-٣

² سورة هود: ٨٧